التناسب الدلالـــي في سورة العاديات

م.م. علـــي فاخر حميـــد
المديرية العامة لتربية محافظة ذي قار
Afakher299@gmail.com

الملخص:

التناسب الدلالي في سورة العاديات عنوان بحثنا والذي كانت فيه عنايتنا بالجوانب الثلاثة (النحوي والصوتي والمعجمي) واضحة، و التي من خلالها حاولنا ان نبين الترابط بين بعضها البعض في الجوانب أعلاه، ومن اهم مظاهر ذلك الترابط هو ابتداء السورة الكريمة بالقسم بالخيل الذي كان للفت الإنتباه بقوة الى قيمة الجهاد في سبيل الله تعالى، وإن العلاقة بين اندفاع الخيل في سبيل الله وبين اندفاع الكنود لنعم الله جل وعلا بعيدا عن السراط السوي واندفاع الخلائق يوم القيامة من قبورهم كأنهم جراد منتشر، مع التوافق الكامل للسورة من ناحية المبنى والمعنى ولعل أهم ما يلاحظ في السورة هو تتابع المشاهد وتلاحقها كما هو الحال في تتابع خيل الجهاد وتلاحقها في سبيل الله فالمقاطع الصوتية موزعة بين الطول والقصر وما له علاقة بفورة النفس وهدوءها بصورة تدريجية في السورة المباركة.. وقد انتظم البحث بهذه المستويات الثلاثة فضلا عن المقدمة والخاتمة.

الكلمات مفتاحية: (القرآن، التناسب، العاديات، القسم، العدول).

Semantic proportionality in Surat Al-Adiyat

Asst.Lect Ali Fakher Hameed
General Directorate of Dhi Qar Education

Abstract:

The semantic proportionality in Surat Al-Aadiyat is the title of our research, in which our attention to the three aspects (grammatical, phonetic, and lexical) was clear, through which we tried to show the interdependence between each other in the above aspects, and one of the most important manifestations of that interdependence is the beginning of the noble Surah with the oath of horses, which was to draw attention Strongly to the value of jihad for the sake of God Almighty, and that the relationship between the galloping of horses for the sake of God and the rushing of horses for the blessings of God, may He be glorified

and exalted, far from the straight path, and the rushing of creatures on the Day of Resurrection from their graves as if they were locusts spreading, with the full compatibility of the surah in terms of structure and meaning, and perhaps the most important thing to notice In the surah, it is the sequence of the scenes and their pursuit, as is the case in the succession of the horses of jihad and their pursuit in the way of God.

Keywords: (the Qur'an, proportionality, Ordinary onesm Section, Return).

المقدمة:

هو القرآن ليس فيه شيء من افتراءات المختلق أو أخيلة الشاعر أو سبحات الأديب ولا يشبه شيء من كلام الفصحاء أسلوبه الفذ العجيب،وبه قد تميزت اللغة العربية كونها نتاجاً مشتركا بين المتكلم والسامع كل بحسب دوره المعروف، ولا يخفى ما لكل منهما من أثرٍ في الآخر تكتسب العملية اللغوية فاعليتَها من معطيات احتدامه ونشاطه.

والقرآن الكريم في عهده المكّي يقوم على ثنائية اللفظ(المتكلم) أو السامع (المعنى) والمتكلم(المعنى) اللذان يحضران في آن واحد وغير بعيد عن هذا ارتباط سورة العاديات واغلب سور العهد المكّي بغرض السورة واشتراكه في انتاج المعنى والكشف عنه وتلمس الأسرار الجمالية التي لا ينفك اتصالها بمَواطن الاعجاز في هذا التعبير المتفرّد.

يحاول البحث استدراج المكنونات السياقية بشقيها اللفظي والمقامي في أداء الغرض الذي لأجله كانت سورة العاديات، تبع العناصر الكلامية المكونة للسياق النصي لهذه السورة بدءاً من القسم الذي تستهل به السورة المباركة ومروراً بمعطيات التركيب النحوي وأثره في اكساء السورة كلها بالدلالة على الغرض ومعطيات الدلالة المقطعية وأثرها في إبراز المعنى وانتهاء بالعنصر المعجمي في تأكيد ما انتجته المكنونات السابقة.

وجاء ترتيب عناصر البحث منبثا مما تمتعت به هذه العناصر الكلامية من تناسب دلالي واتساق مع ما تريد سورة العاديات اثباته، فإنَّك تجد الدلالة على غرض هذه السورة تنبعث من كل هذه العناصر بتدافع عجيب تنتهي بكل الى ثبات كل عنصر مكانه محتفظاً بحصته الدلالية التي يؤديها في البناء الأسلوبي العام لهذه السورة.

التناسب الدلالي وإعجاز القران:

اعجاز القران الكريم من اكثر المسائل التي تشغل ببحثها الفكر الاسلامي والفكر اللغوي على وجه الخصوص، فكانت محاولات الدلالة على مكامن اعجازه تتوالى عصراً بعد عصر، ونظر العلماء الى حقيقة الإعجاز من أماكن متعددة ومتباينة (١).

ويبدو أن ما يمكن الاستقرار عليه في درس الاعجاز هو أن القران الكريم معجز بالتعبير عن المعنى(٢).

ومن بين أهم الأمور التي يتوثق ارتباطها بحقيقة الاعجاز هي التناوب في أداء المعنى الواحد بين أساليب مختلفة أو توجيه الدلالة على المعنى الى طرائق متعددة تنتهي في آخرتها عند هذا المعنى، مظاهرة في الكشف عنه كل بحسب أدواتها، فالوحدات الدلالية توظف بشكل يتميز عن طريقة أخرى دلت على المعنى نفسه مما يثير لدى المتلقي خصوصية قرآنية هي استثمار كل امكانات اللغة التي يخلقها القران في توصيل المعنى(٣).

فالقرآن الكريم اذ يعمد الى معنى معين يختار له لفظة يوظف كل امكاناتها الدلالية ما يتصل منها بالدلالة الايحائية، فضلا عن الدلالة المركزية والدلالة النحوية (التركيبية) والدلالة الصوتية التي يحفظ لها السياق القرآني الدور كله في اقامة المعنى فتنشأ وشائج وعلاقات منفردة ومجتمعة مع السياق، ومن ثم بين هذا كله والغرض الذي جاءت له السورة(٤).

واذا كان البحث الدلالي لا يجد نفسه الا في دراسة مستويات التحليل اللغوي من دون فصل بينها فهي تشترك مجتمعة في انتاج المعنى بعد أن تكون قد شكلت السياق اللفظي وتشكلت بسبب السياق

الاجتماعي(٥) وقد يستأثر واحد من هذه المستويات أو العناصر بنصيب أكبر فيتجلى الاعجاز به ولكن لا نعدم مشاركة العناصر الباقية بأي نسبة كانت.

موضوع السورة والقسم:

سورة العاديات من السور المكية وإن اختلف على مكَّيتها، إلَّا أن قصر آياتها وقوة جرس ألفاظها يقطع بمكيّتها، وهي من قصار السور وعدد آياتها احدى عشرة آية وكلماتها أربعون وحروفها مائة وثلاثة وستون وموضوعها الانسان الذي تنبهه الى مسؤوليته في هذه الحياة وضرورة سيره في السراط المستقيم.

١- التناسب النحوي (التركيبي):

بعد أن حققت السورة الغرض المرجو منها، والذي تكفل بهما التركيب النحوي بالاعتماد على سابقه(الانتقاء) الذي يعتبر عملية سابقة للتركيب، فكلما كان المنشئ دقيقاً كلَّما كان تركيبه سليماً.

١- القسم:

﴿ وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا﴾ الواو للقسم، فالخلق يقسم بالله والله يقسم بما يشاء من خلقه فالمسألة هنا اختيارية من قبيله سبحانه وتعالى، فقسم جل شأنه لأجل التوصل الى نتيجة (ان الانسان لربه لكنود وانه على ذلك لشهيد) فالقسم لأجل التركيز والتأكيد على ذلك(٨).

قال الراغب في المفردات : إنَّ العدوالتجاوز ومنافاة الالتئام، فتارة يعتبر بالقلب فيقال العداوة والمعاداة، وتارة بالمشي فيقال له العدو، وتارة في الإخلال بالعدالة فيقال العدوان والعدو(٩).

والعادي اسم فاعل من عدا وهو من الركض وهو على معنيين مادي ومعنوي(١٠).

أقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح، والضبح صوت أنفاس الخيل إذا عدون، قال عنترة العبسي:

والخيلُ تكدحُ حين تضبـــ حُ في حياض الموتِ ضبحا (١١)

وانتصاب ضبحاً على يضبحن ضبحاً أو بالعاديات كأنه قال و الضابحات؛ لأن الضبح يكون من العدو(١٢).

والسورة الكريمة تبدأ بالخيل وهي في أوج اندفاعها الى ساحة الجهاد في سبيل الله وكلها عزيمة وتصميم وذلك امتداد لعزيمة فرسانها لذا يخرج من صدورها الضبح وهو الصوت الذي يخرج عندما تبذل الخيول في عدوها منتهى طاقاتها ومنه نستطيع أن نفهم من القسم في الآية﴿ **وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا**﴾ أسرع أنواع العدو بمعنى أن الصوت الخارج من صدر الفرس يضيف زيادة مفيدة إذ يعني أن الخيل قد بذلت كل جهدها، وبناء على ذلك يكون القسم بخيل الجهاد التي تطوي الأرض لشدة عدوها وفرط حماسها ونشاطها المستمدين من حماس المجاهدين في سبيل الله ونشاطهم، والله أعلم(١٣).

٢- المصدر:

إن كلمة المصدر تعد من المصادر الميمية للفعل صدر على وزن مفعل بفتح العين؛ لأنَّه من الثلاثي مفتوح العين مضموم مضارعها فهو من باب نصر ودخل(١٤)وقد تعددت المذاهب في قياس المصدر للفعل الثلاثي أحدهما: أنه لا ينقاس ونسبه أكثر المتأخرين الى سيبويه وإنه قصره على السماع والثاني ينقاس في الأمر والدعاء والاستفهام بتوبيخ أو بغير توبيخ، أي أن القدماء مختلفون في قياسه.

وقد ورد عدد من المصادر في سورة العاديات هي: حب، جمعا، قدحا، صبحا، ضبحا، وهي ثلاثية على وزنين: فعل بفتح فسكون وفعل بضم فسكون هي حب وضبح، لكنها استخدمت في التراكيب في مواقع مختلفة، وإن كان أكثرها منصوبا.

أما من حيث المواقع الاعرابية فقد وقع المصدر ضبحا مفعولا مطلقا أو حالا(١٥) وذهب بعض المفسرين الى أن قدحا انتصب يما انتصب به ضبحا(١٦)أي يقدحن قدحا أو قادحات في الصخر أما صبحا ففي قول للمفسرين أنهم لعزهم أغاروا نهارا وصبحا على هذا أي علانية(١٧)فتكون حالا، أما جمعا: مفعول به للفعل وسطن(١٨)، وكذا نقعا للفعل أثرن، أما حب فهو مجرور بحرف الجر اللازم وهما متعلقان بشديد خبر إنَّ(١٩) ويشير هذا التغاير في المواقع الإعرابية

الحذف

يظهر الحذف في السورة المباركة في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ﴾ فقد حذف فيه مفعول الفعل يعلم، ويمكن تقدير القول: أفلا يعلم هذا الإنسان مكانه وتأمل قول ﴿ بُعْثِرَ) الدال على خروج الخلائق من الأجداث كأنهم جراد منتشر وهو خروج واندفاع يذكراننا باندفاع خيل المجاهدين في سبيل الله والعجاج الذي تثير من حوافرها في صدر السورة، ويظهر بين صدر السورة ووسطها وعجزها تناسباً واضحاً في المشاهد على نحو من الأنحاء، ناهيك عن استعمال (ما) الدالة على غير العاقل وليس(من) مع انها تتحدث عن جنس الإنسان، لعلها اشارة الى مراحل نمو الناس المبكرة في طريقهم لكي يكونوا خلقاً سوياً من جديد، فالله تعالى أعلم بالمراد، وإنَّ القول﴿بعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُور﴾ قادر على اعطاءنا ذلك المشهد الرهيب المخيِّب وقد بدأت الحياة تدب في الخلق من جديد، وأخذ خلقهم يكتمل وانطلقوا من الأجداث كأنهم جراد منتشر، وذلك أثر الصيحة التي وعدنا بها القرآن الكريم(٢٠).

٤-العدول:

قوله تعالى: ﴿فَٱلْمُورِيٰتِ قَدْحًا﴾ فإذا كان أورى النار بمعنى أشعلها وأججها فارتفع لهيبها ، والقدح هو إيجادها بعد العدم عن طريق ايجاد الشرر ، وهو أن تحمل مادة الموريات على الاقتضاء ومادة القدح على الفعلية، وهو الابتداء بما هو أهم وهو النار العالية ثم يكرر بيان سببها وهو القدح البسيط. وهو العدول عن ذكر العلة قبل المعلول الى ذكرها بعد المعلول(٢١).

ومن مظاهر العدول الأخرى، تختم السورة الكريمة بالقول: ﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ وهذه الآية الكريمة تشير الى الثواب والعقاب معاً، ألَّا نتبين أنها تعدل عن ضمير المفرد الغائب الذي استعملته في قوله تعالى: (إِنَّ ٱلْإِنسٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ) الى ضمير الجماعة الغائبين مع امكان استعمال المفرد في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾ وكأن الآية الكريمة تشير الى كل انسان وليس الى ذلك الكنود لربه فقط، وكأن بين أولئك الكنودين من تحوَّل شكورا، والبخلاء من أنفق ماله في سبيل الله بعد تدبُّر أمثال هذه الآيات في الذكر الحكيم والأحاديث الشريفة (٢٢).

٢- التناسب الصوتي(المقطعي):

معروف أن القرآن الكريم ليس بالشعر ولا بالنثر، أما كونه ليس شعرا فقد تواتر على ذلك العقل والنقل، أما كونه ليس نثرا، فالمراد أنَّه ليس من ذلك الجنس من النثر الذي تعارف عليه البشر وتفوتت أنصبتهم في الأخذ بنصيب منه، فالتوازن العجيب الدائم في القرآن الكريم و قادر على ارضاء العقل بنصوص حكم المعاني واشباع النفس بجميل تركيب المباني، واذا نظرنا الى سورة العاديات من زاوية التلاؤم والتناسب الصوتي وذلك في ضوء الحقيقة الماثلة من كون القرآن الكريم يتمثل فيه خير ما في الشعر والنثر معا، ففيه التوازن العجيب بين تدفق المعاني وشاعرية المباني(٢٣) (٢٤).

المشهد الأول:(وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا) وهو في الحقيقة وصف لغارة سريعة عنيفة، تأخذ القوم صبحاً، وتمزِّق جمعهم كل ممزق، يبرز مشهدان: الأول يتمثل في الآيات الثلاثة الأولى من السورة ونلحظ منها ظاهرتان مقطعيتان، الأولى تتمثل في التطابق الكامل في البنية المقطعية بين الآيتين الأوليين، وفي هذا التطابق يشير الى دلالة أن العاديات ضبحا وهي الخيل المغيرة(٢٥) وهي نفسها التي توري قدحاً لم يكن ليحصل لولا العدو العنيف للخيل في الأرض الوعرة إذ نتيجة اصطكاك حوافر الخيول بالحجر فيخرج الشرر، فمن دون العنف والسرعة اللذان عبر عنهما القران بالعدو، لا يمكن أن يظهر الشرر متقادحا هنا وهناك في حلكة الليل، إذ إن الإيراء المتقادح بحوافر الخيل يبقى مستمرا مع بقاء الخيل مستمرة في عدوها السريع وجريها العنيف(٢٧).

و المشهد الفرعي الثاني في:

(فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا)

تبرز لدينا هنا ظاهرة التناسب و التطابق الكامل في البنية المقطعية، وهو دلالة الى تحديد مكان المعركة، وجعله محصوراً في بقعة أرض محددة، من أجل اظهار المشهد العنيف، إذ يكون النقع وغبار المعركة أكثف كأنه الليل بتحديد مكان المعركة، وكذلك يكون الحدث أعنف؛ لقدرة المكان على احتواء

جمع العدو، كيما يكون ممكناً تمزيقهم كل ممزق بسرعة خاطفة، وهذا كله يعطي للغارة دفقاً معنوياً خاصاً من سرعةٍ وعنفٍ وتبديدٍ في قتل العدو المتربص بالمؤمنين الدوائر(٣٠).

فهاتان الآيتان تشيران الى مرحلة التحام جيش الإسلام وجيش الكفر والطغيان وإنَّ فرَّ الخيل وكرَّها واقبالها وإدبارها جعل العلاقة المميزة بين ارتفاع العجاج وكثافته في موضع المعركة، حتى توسطت في قلب جيش العدو حاسمة الموقف ومردية العدو في الهاوية (٣١).

المشهد الثاني(إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ) وهو جواب القسم الذي يعرض ما في الإنسان من الكنود والجحود والشح الشديد(٣٢).

ويظهر هذا الهدوء جلياً بتتابع المقاطع الطويلة المقفلة بصامت وهذا التتابع يشكل ثلاثة قيود تشعرك بثقلها حين قراءتها فضلاً عن طولها وهذا تناسباً؛ لتاكيد صفة الكنود في طبع الإنسان وثقل وقعه في كيانه(٣٤).

ام الظاهرة الثانية: هي تتابع المقاطع الطويلة(على ذلك) وهو تتابع يشعر بمدى ادانته لنفسه بصفة الكنود، وظهورها كحقيقة شنعاء ذميمة في نفس الإنسان، وعلى الرغم من ذلك فهو عليها شاهد وشهيد(٣٧).

(وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ)

يمكن ملاحظة ظاهرتين أيضا في بنيتها المقطعية، وكل ظاهرة منها دلالة خاصة تعمّق معنى الآية وتضفي عليها شيئاً جديداً:

الأولى: غياب المقطع الطويل(ص ح ح) وبروز المقطع القصيروالمقطع الطويل المقفل بصامت وهو ما يتناسب مع شدة شح الانسان وحرصه وبخله وامساكه للمال وشدة تعلقه به وعدم انفاقه، فناسب هنا مجيء المقاطع المقفلة وهذه الدلالة أشعر بها شيوع المقطع الطويل المقفل بصامت فكأنَّه بمثابة القيد الذي يغل الأيدي الى الأعناق.

والثانية: هي تتابع ثلاثة مقاطع متشابهة، يوحي بدلالة شدة حب الإنسان لنفسه، وعمق تغلغل صفة البخل في أعماق طويته، ما لم يخالط الإيمان قلبه فيغير من تصوراته وقيمه وموازينه وجحوده اعترافاً بفضل الله تعالى(٣٨).

وبعدها يأتي المشهد الثالث الرئيس وهو آخر المشاهد الذي يصف القيامة وما يكون فيه من بعث وحساب وغاية وقرار.(أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ) وهذا المشهد في الحقيقة يقسم الى مشهدين الأول منهما فيه ظاهرتين: الأولى: تتناسب مع الاستفهام الانكاري الذي خرج الى معنى التهديد والوعيد(٣٩) والاستفهام اذا ما جاء للإنكار يكون التنغيم فيه مستوياً نازلاً وهذا لم يحصل لولا البنية المقطعية للآية وذلك من خلال تتابع المقاطع لينتهي بمقطع مديد مقفل بصامت ومنه تبرز دلالة الاستفهام الانكاري الخارج لمعنى التهديد والوعيد(٤٠).

والثانية: هي التناسب التام والتطابق بين(بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ)و(وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ) وهو دلالة على كون بعثرة ما في القبور تتزامن مع تحصيل ما في الصدور، بل أن الغاية والهدف المرجوين من بعثرة ما في القبور هما تحصيل ما في الصدور للحساب والجزاء يوم القيامة (٤١).

ومن ثم الانتقال المقطعي من الصامت الى المتحرك في(بُعْثِرَ وحُصِّلَ) يشعر بالانتقال من سكون الى حركة ومن انغلاق الى انفتاح(٤٢).

ومن ثم تظهر دلالة ايقاع الاية واضحاً حين قراءتها وذلك من خلال تتابع المقاطع الطويلة هذه، إذ أنَّ توالي الأمثال في هذه المقاطع يجعل الكلام ثقيلاً عند النطق به ومن الممكن استنباط دلالة الانتقال من حال الى حال في حال اختلاف المقاطع بينهم، ولعل هذا الاختلاف يوحي بانتقال الانسان من الموت الى البعث وذلك اشارة الى اثارة الانتباه الى تذكر الانسان ليوم القيامة، فلا مهرب له ولا مفر فهو محاسب لامحالة كما جاء هذا القيد ليعمق دلالة القدرة على الاحاطة ببواطن الانسان(٤٣).

٣-التناسب المعجمي(السياقي)

أحاول أن اتبين ما تحمله الوحدات الدلالية لسورة العاديات من تناسب وايحاء يتحدد فيه الغرض الذي تتكلم عليه السورة وفي ضوء ذلك يمكن أن نقسمها الى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: هو آيات الشق الأول، قال تعالى(وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ١ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ٢ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا)أسلفنا فيما سبق يقسم رب العزة بشيء مما خلق، الا وهو الخيل، والقسم بالخيل شرف لها، قال النبي(ص) : (الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة)(٤٤) وقد خصَّت السورة خيل الجهاد في سبيل الله وهي تطوي بفرسانها الأرض طياَ قاصدة ساحة الجهاد في سبيل الله، وقد ورد في تقرير لباحثِينَ كنديينَ نشرته مجلة الطليعة الأمريكية يذكرون فيه أن رؤوس الخيول تتمتع بنظام مختلف عن الحيوانات الأخرى وهو نظام (التبريد والتكييف) عندما ترتفع حرارتها اثناء العدو السريع من خلال وجود أكياس هوائية في رؤوسها، أي أن لها نظام تشريحي غير عادي يوجد في قاع الجمجمة يعمل على تبريد الدماء التي تصل الى المخ؛ لأن الحيوانات الرياضية كالخيول يجب أن تظل درجة حرارة رؤوسها أقل من اربعين درجة مئوية خلال تدريبات العدو السريع وإلاَّ تعرضت أدمغتها للتلف، وقد ظلت الوظيفة التي تؤدي بها الخيول هذا الأمر لغزاً حتى بدت كأنها تمتلك أنظمة تحكم بدرجات الحرارة في جسمها، ويعتقد العلماء أنَّهم وجدوا الإجابة باكتشافهم أن (الشرايين السماكية) التي تنقل الدم للمخ يحيطان بها كيسان بسعة ٣٠٠ الى ٥٠٠ ملغم من الهواء القادم من الجهاز التنفسي اليها، ومن هنا نلحظ دقة الأعجاز العلمي (٤٥) والتناسب المعجمي في هذه السورة، من خلال القسم بالصفة التي تميز هذه الخيول(العاديات) ولم يقل الأحصنة أو الخيول وذلك؛ لعلاقة العدو السريع بانخفاض درجات الحرارة بعد ارتفاعها بواسطة هذا النظام الإلهي المعجز، ولما كان الضبح هو الصوت الخارج من صدور الخيل وهي في أقصى غايات عدوها، ومع أن العين تبصر الخيل في عدوها، فلا يخفى أن التناسب الدقيق في الآية الكريمة يلفت الانتباه الى أدق الجزئيات الدالة على اندفاع الخيل في سيرها الا وهو الصوت الذي تنفرد الأذن بإدراكه والذي يعتبر خير دليل على سرعتها(٤٦).

وإذا تمعنَّا الاية التالية(فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا) تبينا أن للعين دوراً لا يقل عن دور الأذن بل لعله يتقدمه، وهو اذا كانت الأذن تستطيع من قريب أن تسمع صوت اصطكاك سنابك الخيول بالحجارة وهو صوت قد لا يكاد يبين من بعيد، فالشيء الذي يعتبر شاهداً أكيداً على أنَّ سرعة الخيول آخذة بالازدياد باطراد، هو ذلك الشرر الذي يتطاير لارتطام حوافر خيل الجهاد في سبيل الله بالحجارة دون أن يقلل ذلك من سرعة عدوها، وهذا يتبين التناسب المعجمي باشتراك العين والاذن في الايتين الكريمتين رغم إنَّ نصيب الأذن يتقدم على نصيب العين(٤٧).

أما الآية الثالثة(فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا)تعتبر بمثابة الدرس الذي على المسلمين أنْ يطبقوه بتفاصيله مستقبلاً بقيادة النبي الأكرم(ص) وذلك؛ لأنَّ السورة مكية والجهاد بالسيف لم يؤذن إلَّا بعد الهجرة مع أنَّه ليس الغرض من مباغتة الأعداء وقت الصباح لاستياق النعم وسبي الذراري كما يُفعل قبل الاسلام، بل لأنَّ الآذان لصلاة الفجر هو الفيصل بين المسلمين وغير المسلمين فإنْ سَمع المجاهدون آذاناً علموا أنَّ القوم على اسلامهم، ليبيونوا أنّ المسلمين في الحرب والسلم إنَّما كانوا يتحركون ويسكنون من أجل مرضاة الله تعالى(٤٨)

أما الآيتين: (فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ٤ فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا) يصوران الالتحام الفعلي بأعداء الله وذلك النقع المثار من سنابك العاديات حال اشتباكها بجيوش الكفر والحماس الذي ينبغي أنْ يلازم المجاهدين في سبيل الله وهم يندفعون بوسائل القتال الى ميدان المعركة بكل رخيص وغال.

القسم الثاني:

قال تعالى: (إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ) واجب الانسان أنْ يكون شاكراً في السراء صابراً في الضراء وهذا هو ما نبَّهت إليه السورة في آخر أقسامها، وما يفهم من تسجيل بعض الصفات السيئة في الإنسان هو بقصد التخلص منها، وحينما نتأمل لفظة الرب في الآية الكريمة، وهي التي تفيد تربيته عزَّ وجلَّ للنعمة، ونقارن بين اللفظتين المتجاورتين نجعل كل من النعم وكفرها أشد وضوحاً وهو وضوح يجعل من كان عنده شيء قليل من العقل والانصاف حريصاً

على التخلص من الخصلة السيئة بعد ايقافه عليها، فضلاً عما هو مطلوب منه، من عبادة الله تعالى حق العبادة كفاء النعم الظاهرة التي من الله تعالى بها عليه (٤٩).

القسم الثالث:

لا يخفى أنه اذا كان هذا القسم يركز على يوم القيامة يوم الجزاء(أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ) وإنَّ اهتمامه بهذه الحياة لا يكاد يقل بحال من الأحوال لأنَّ الجزاء من جنس العمل، فإذا كان الجزاء نصيب اليوم الآخر فإنَّ العمل من نصيب الحياة الدنيا(٥٠).

الخاتمة

الحمد لله الذي منَّ على عبده في أن ألج مكامن سورة العاديات المباركة لأظهر بعض تناسبها في البيان القرآني دلالياً، لأبينَ ما انماز به القران الكريم من امكانات لغوية ومفردات ثرَّة وكثافة معجمية وأسلوب فريد لا يضاهيه كتاب أو نص أدبي آخر، لأنه كتاب إعجاز من لدن الباري سبحانه فأساليبه متسعة كلَّما أراد الانسان تدبراَ ووقوفاَ عندها، ولعلَّ غيرنا يجد ما لم نجده في هذه السورة المباركة وهذه هي طبيعة البحث العلمي،

وحسبنا أنا سعينا في دراسة السورة دلالياً وابراز مواطن التناسب والاعجاز فيها، فما كان منها صائباً فمن لطف الله وعنايته وما كان منها خائباً فمن عجزي وتقصيري.

الهوامش:

١- مباحث في علوم القرآن:٣١٣.

٢- دلائل الاعجاز:٣٦٨.

٣- التناسب الدلالي في سورة الضحى: ١٠٥.

٤- الأثر الدلالي لحذف الاسم في القران الكريم: ١٩٤.

٥- ينظر: ظلال المعنى بين الدراسات التأريخية وعلم اللغة الحديث:

٦- ضفوة التفاسير: ج٣/٣٩٥.

٧- الأسلوبية والأسلوب(المسدي): ١٠٨.

٨- منة المنان في الدفاع عن القرآن: ج١/٣٨٩.

٩- المفردات (الراغب): ٣٣٨ مادة(عدا).

١٠-منة المنان:ج١/٣٨٩.

١١-كتاب عنترة بن شداد: ج١/٣٥.

١٢-الكشاف: ج٦/ ٤١٧.

١٣-ينظر: تأملات في سورة العاديات:١٦.

١٤-مختار الصحاح(الرازي):٣٥٨.

١٥-البحر المحيط(ابو حيان): ج٨/٥٠٠.

١٦-الجامع لأحكام القرآن(القرطبي): ج٢٠/١٥٨.

١٧-نفسه، الصفحة نفسها.

١٨-نفسه،٢٠/١٦٠.

١٩-التبيان في اعراب القران: ج٢/٣٠٠.

٢٠-تأملات في سورة العاديات(بحث):٢٧-٢٨.

٢١-منة المنان:ج١/٣٩٥.

٢٢-تأملات في سورة العاديات:٢٩.

٢٣-نفسه: ٢٠

٢٤-نفسه:٢١

٢٥-صفوة التفاسير: ج٣/٣٩٥.

٢٦-سورة العاديات دراسة مقطعية:٤٣

٢٧-نفسه:٤٦

٢٨-نفسه ، الصفحة نفسها.

٢٩-التفسير البياني(د. عائشة):١/١٤٠

٣٠-نفسه ،الصفحة نفسها.

٣١-تأملات في سورة العاديات:٢١.

٣٢-في ظلال القرآن: ج٦٤٣/٨.

٣٣-الجدول في اعراب القران: ٣٩٠/٣٠.

٣٤-ينظر: في ظلال القرآن: ٢٨/ ٦٤٤.

٣٥-التفسير البياني للقرآن الكريم: ١٤٦/١.

٣٦-ينظر: في ظلال القرآن: ٢٨/ ٦٤٤.

٣٧-تأملات في سورة العاديات:٢٥.

٣٨-ينظر: في ظلال القرآن: ٢٨/ ٦٤٥

٣٩-صفوة التفاسير: ج٥٤٩/٣.

٤٠-التعبير في القرآن الكريم(سمير ابراهيم):٥٢.

٤١-التفسير البياني(د. عائشة):١٥٠/١

٤٢-الجامع لأحكام القرآن الكريم: ١١١/٢٠.

٤٣-سورة العاديات دراسة مقطعية:٤٤

٤٤-صحيح البخاري: ٣٤/٤.

٤٥-الطليعة(مجلة أمريكية)

٤٦-تأملات في سورة العاديات:٢٦.

٤٧-نفسه، الصفحة نفسها.

٤٨-نفسه، الصفحة نفسها.

٤٩-نفسه: ٢٧.

٥٠-نفسه:٢٨.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

- المفردات في غريب القرآن – الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني – الراغب الأصفهاني – دار القلم– دمشق– بيروت– د.ط –٢٠٠٩م.

- الأثر الدلالي لحذف الإسم في القران الكريم، محمد جعفر العارضي (رسالة ماجستير) كلية الآداب. جامعة الكوفة، ١٩٩٧م .

- الأسلوبية والأسلوب– د. عبد السلام مسدي– ط٥– دار الكتاب العربي المتحدة– بيروت– لبنان– ٢٠٠٦.

- الاعجاز العلمي (سورة العاديات) مجموعة علماء كنديون– مجلة الطليعة الأمريكية–العدد/ ٨٦ – ٢٠١٧م.

- تأملات في سورة العاديات– د.حسن محمد باجودة– دار الاعتصام– مكة المكرمة–١٣٩٦هـ.

- التبيان في اقسام القران– ابن قيم الجوزية–ت: الشيخ طه يوسف شاهين– دار الكتب العلمية– لبنان– بيروت–١٩٨٢م.

- التعبير الفني في القرآن الكريم–د. بكري شيخ امين– ط٣– دار الشروق– القاهرة ١٩٧٩م.

- تفسير البحر المحيط– لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي– ت عادل احمد عبد الموجود– ط١– دار الكتب العلمية– بيروت–٢٠١٠م

- التفسير البياني للقرآن الكريم – د. عائشة عبد الرحمن(بنت الشاطئ)– ط.٨– دار المعارف– القاهرة– د.ت.

- التناسب الدلالي في سورة الضحى، دراسة في الإعجاز القراني، محمد جعفر العارضي، مجلة القادسية العدد/٢، ١٩٩٩ م.

- الجامع لأحكام القرآن- أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش-د.ط – دار الكتب المصرية – القاهرة- ٢٠٠٦.

- الجدول في اعراب القران وصرفه وبيانه – محمود صافي- موقع الكتروني.

- دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني، طبعة محمد رشيد رضا، دار المعرفة- بيروت ١٩٧٨ م.

- صحيح البخاري- الامام الحافظ ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري- دار ابن كثير- بيروت- لبنان- د.ت

- صفوة التفاسير – محمد علي الصابوني – دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة – ط١- ١٩٩٧ م

- ظلال المعنى بين الدراسات التأريخية وعلم اللغة الحديث، علي زوين، مجلة آفاق عربية/ عدد٥، ١٩٩٠م

- في ظلال القرآن- سيد قطب- ط.٥- دار احياء التراث العربي- بيرقت-١٩٧٦.

- كتاب عنترة بن شداد الجزء الأول- أنيس وكمال بكماش- بيروت- المطبعة الأدبية- د.ط – ١٩٠٨م.

- الكشاف في حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل- أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري- ط١- دار الفكر- بيروت- لبنان- ١٩٧٧م.

- مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت. ١٩٦٨م.

- مختار الصحاح زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي) ت: يوسف الشيخ محمد، دار الناشر-ط١- بيروت- لبنان، د.ت.

- منة المنان في الدفاع عن القرآن الجزء الأول- محمد محمد صادق الصدر- شبكة جامع الأئمة عليهم السلام- فريق عمل الكتب الألكترونية .